بحث وتحليل :

قضية الجمال والحب

[أول تآليف طلبة قسم النقد والبحوث الفنية بمعهد فن التمثيل العربي]

المؤستاذ زكي طليمات

الحب والجمال قضية شغلت الإنسان في مختلف مداركه منذ القدم ، وستكون شغله ما دامت النفس البشرية على ما هي عليه ، وذلك أن الجمال من عناصر الوجود ، تتصيد مظاهره في المرئيات وما يقع عليه الحس ، كما هو كامن فينا بفعل الفطرة بدليل أننا نخلعه أحياناً على ما يحيطنا ، هذا والحب رباط الحياة وقوامها وسناد التجاذب الذي تقوم عليه غريزة حفظ النوع ، وهي أقوى ما ركبته الفطرة فينا ، لأنها أساس الحياة الدنيا وسر بقائها .

فإذا شغلت هذه القضية ذهن شاب في العقد الثالث من عمره ، وفي هذا العصر الذي نعيش فيه ، عصر السرعة والآلة الذي يقوم على أثر حرب طاحنة ما زال انهيار الأنقاض فيها يسك مسامعنا إذا كانت تشغله هذه القضية إلى حد إصدار مؤلف جديد يعالج دخائلها وشعابها ، ففي هذا ما ينهض دليلا على أنها قضية خالدة لا تبلى جدتها أبداً .

فقد أصدر الأديب (حلمي عبد الجواد السباعي) مؤلفاً يحمل هذا العنوان تناول فيه ، ماهية الجمال ، ووسائل الإحساس به ، ومظاهر تعبيره وذلك في التصوير والنحت والرقص والموسيقى والأدب ، ثم عرج على الحب فأحاطه به إحاطة كاملة فأوضح ألوانه ، وكما تحدث عن حب الله ، وحب الكرامة والواجب ، وحب القرابة ، فأنه أجرى قلمه في الحب المألوف وحب الشهوة ، والحب الشاذ ، أجرى كل هذا في لفتات سريعة تشهد له ببراعة في الإنشاء الذهني والأسلوب اللغوي .

وبزهيني ، والمؤلف أحد طلاب قسم النقد والبحوث الفنية بمعهد فن التمثيل العربي ، أن أقدم كتابه إلى القراء ، وأن أقدمه متجرداً من عطف الأستاذ على التلميذ ، ومن هوى الزميل للزميل ، في خدمة المبدأ والفكرة العامة .

إن المتصفح هذا الكتاب ، المتمعن عناوين أبوابه ، لا يلبث أن يحكم بأن المؤلف ما زال في غمرة الشباب وأحلامه ، وأنه للجمال وللحب ، فإذا ما قرأ الكتاب انتهى إلى أنه لم يخطىء في حكمه ، وأن للكاتب عرقاً في الأدب يمتد إلى القديم والحديث والشرقي والغربي في أفانينه .

بيد أنه عرق ما زال رطب العود بدليل أن المؤلف ، وإن أحاط بما سبقت الإشارة إليه من مواضيع إحاطة شاملة تشهد له بالتقصي المحكم والاستقراء الحاذق في الشائع من الأدبين العربي والأوربي ، إلا أنها إحاطة تكاد تخلو من كشف جديد في أحكام قضية الحب والجمال ، وتكاد تقفر من اللفتات الأصيلة البارعة التي تشق للقارىء أفقا جديداً من التأمل .

وهذا مأخذ إذا سجلناه ، فلأننا ننفس بالمؤلف ، وهو نابه في بدايته ، أن تقف جهوده عند السير في السبل المبددة المطروقة .

والمؤلف في كتابه يوحي بظاهرة نفسية جديرة بالتأمل ، تراود الخاطر على استجلاء بواطنها ، فإذا أخذنا في تحليلها ، برد الفرع إلى الأصل ، إذا تقصينا الحافز الباطني الذي دفع قلم المؤلف إلى معالجة هذه القضية بهذا النفس الحار والنشوة البالغة التي لا تتوانى عن أن تمتد إلى القارىء اليقظ الوجدان ، إذا أخذنا بكل هذا فسرعان ما يتضح لنا أن المؤلف يصدر فيما كتب عن كبت حسي ، كبت له طابع خاص ، إذا تعاونت على تصفيته وتهذيبه وإلجام نزواته قيود تأصلت في نفسه ، وثقافة أمدت صاحبها بما يجعله يغلب المعنويات على الماديات في أحاسيسه فركبت فيه شاعرية حالمة تدخل في نطاق الحديث الشريف «إن الله جميل يحب الجمال» .

المؤلف يكابد عقدة نفسية ، ومن منا ليست له عقد نفسية تسيطر على أعماله وسلوكه ، ولكن من لطف الله بالأستاذ المؤلف وبنا ، وبآنسات المعهد ، أن عقدته النفسية رهينة قيود لا تشكو أسرها ، جعلته للشباب في أحلامه وتهاويله العذراء البكر ، وليس للشباب في متطلباته المادية ، واستجابته لصوت الدم الداقىء ، فهنيئا له فقد كفاه الله شر القتال في مجال قلما يكون الغالب فيه خيراً من المغلوب .

ولا يضير الأستاذ (حلمي) في شيء أن يكون من هذه الفئة